العلاقات السياسية والاقتصادية بين الوجود الفينيقي والقبائل الليبية في حوض المتوسط القديم

Political and Economic Relations between the Phoenician Presence and the Libyan Tribes in the Ancient Mediterranean Basin

علي علي حسين الر ابطي
طالب دكتوراه باكاديمية الدراسات العليا جنزور
hmam0285@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث العلاقات السياسية والاقتصادية بين الوجود الفينيقي والقبائل الليبية القديمة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك من خلال تحليل نقدي للروايات التاريخية التقليدية التي سيطر عليها الطرح الاستعماري، وتقديم قراءة بديلة تقوم على الندية والتفاعل المتبادل. يعتمد البحث على منهجية متكاملة تجمع بين المناهج التاريخية والآثارية والأنثروبولوجية والنقدية ما بعد الاستعمارية، ويستند إلى مصادر متنوعة تشمل النصوص الكلاسيكية (كهيرودوت وبوليبيوس)، والنقوش البونية والليبية ثنائية اللغة، واللقى الأثرية المكتشفة في المواقع الليبية (لبدة، صبراتة، أويا).

تتحدد مشكلة البحث في سيادة الطرح الاستعماري في الكلاسيكيات التاريخية الغربية، والذي جرد القبائل الليبية القديمة من فاعليتها التاريخية وشخصيتها السياسية والاقتصادية المستقلة. ويهدف البحث إلى تفكيك هذه المفاهيم الاستعمارية، وإبراز الفاعلية التاريخية للقبائل الليبية، وتحليل الاستراتيجية البحرية الفينيقية، والكشف عن طبيعة التحالفات السياسية والعسكرية، ودراسة الشبكات الاقتصادية ومسالك القوافل الصحراوية.

توصل البحث إلى خمس نتائج رئيسية: أولاً، دحض الطرح الاستعماري وإثبات أن الوجود الفينيقي قام على التوافق السلمي والدبلوماسي وليس على السيطرة العسكرية. ثانياً، إثبات الفاعلية السياسية والاقتصادية للقبائل الليبية (المكاي، النسامون، الجرامنت) في تشكيل المشهد السياسي والاقتصادي للمنطقة. ثالثاً، تأكيد التحالف والتكامل العسكري الاستراتيجي بين الفينيقيين والقبائل الليبية في مواجهة التوسع الإغريقي والروماني. رابعاً، إثبات ولادة الهوية "الليبية-البونية" كنموذج للتعددية الثقافية والاندماج الحضاري. خامساً، تأكيد استمرارية التراث الحضاري الفينيقي-البوني في ليبيا بعد سقوط قرطاج.

يخلص البحث إلى أن العلاقات الفينيقية-الليبية تمثل نموذجاً فريداً للتفاعل الحضاري الإيجابي، حيث أثمر اللقاء بين ثقافتين مختلفتين عن تكامل سياسي واقتصادي وثقافي عميق، وأن التعددية الثقافية يمكن أن تكون منبعاً للإبداع والإثراء المتبادل إذا قامت على أسس من الاحترام والندية والمصالح المشتركة. ويوصي البحث بإجراء تنقيبات أثرية مكثفة في المواقع الداخلية، ودراسات مقارنة مع نماذج أخرى من التفاعل الفينيقي، وتضمين الموضوع في مناهج التاريخ، وتطوير المتاحف والمواقع الأثرية، ووضع خطط لحماية التراث الثقافي الليبي.

الكلمات المفتاحية :الفينيقيون، القبائل الليبية، العلاقات السياسية، العلاقات الاقتصادية، حوض المتوسط، لبدة الكبرى، صبراتة، أويا، الليبيون-البونيقيون، التجارة الصامتة، ما بعد الاستعمار، التثاقف.

Abstract:

This research examines the political and economic relations between the Phoenician presence and the ancient Libyan tribes in the Mediterranean Basin, through a critical analysis of traditional historical narratives dominated by colonial discourse, and presents an alternative reading based on equality and mutual interaction. The research employs an integrated methodology combining historical, archaeological, anthropological, and postcolonial critical approaches, drawing on diverse sources including classical texts (Herodotus and Polybius), bilingual Punic-Libyan inscriptions, and archaeological findings discovered in Libyan sites (Leptis Magna, Sabratha, Oea).

The research problem is defined by the dominance of the colonial narrative in Western historical classics, which stripped the ancient Libyan tribes of their historical agency and independent political and economic identity. The research aims to deconstruct these colonial concepts, highlight the historical agency of the Libyan tribes, analyze Phoenician maritime strategy, reveal the nature of political and military alliances, and study economic networks and Saharan caravan routes.

The research reached five main conclusions: First, refuting the colonial narrative and proving that the Phoenician presence was based on peaceful consensus and diplomacy, not military domination. Second, proving the political and economic agency of the Libyan tribes (Macae, Nasamones, Garamantes) in shaping the political and economic landscape of the region. Third, confirming the strategic military alliance and integration between the Phoenicians and Libyan tribes in confronting Greek and Roman expansion. Fourth, proving the emergence of the "Libyphoenician" identity as a model of cultural pluralism and civilizational integration. Fifth, confirming the continuity of the Phoenician-Punic civilizational heritage in Libya after the fall of Carthage.

The research concludes that the Phoenician-Libyan relations represent a unique model of positive civilizational interaction, where the encounter between two different cultures produced deep political, economic, and cultural integration, and that cultural pluralism can be a source of creativity and mutual enrichment if based on foundations of respect, equality, and shared interests. The research recommends conducting extensive archaeological excavations in

interior sites, comparative studies with other models of Phoenician interaction, integrating the topic into history curricula, developing museums and archaeological sites, and establishing plans to protect Libyan cultural heritage.

Keywords: Phoenicians, Libyan tribes, Political Relations, Economic Relations, Mediterranean Basin, Leptis Magna, Sabratha, Oea, Liby Phoenicians, Silent Trade, Postcolonialism, Acculturation.

استلام الورقة: 25-01-2026 - قبول الورقة: 15-02-2026 - نشر الورقة: 02-03-2026

أولاً: مقدمة الدراسة

1.1تمهيد

يُمثّل حوض البحر الأبيض المتوسط القديم في الأدبيات التاريخية والأنثروبولوجية المسرح الأهم للتفاعلات الحضارية الإنسانية؛ إذ لم تكن شواطئه مجرد فواصل جغرافية تفصل بين اليابس والماء، بل كانت ممرات حيوية وجسراً رابطاً بين حضارات المشرق والمجتمعات المستقرة في شمال إفريقيا. وقد شكل هذا الفضاء البحري الهائل منذ أقدم العصور بوتقة تنصهر فيها الثقافات وتتلاقح فيها الحضارات، لتنتج نماذج فريدة من التكامل الإنساني والتبادل الثقافي. فالبحر المتوسط لم يكن أبداً حاجزاً يفصل بين الشعوب، بل كان طريقاً مائياً مفتوحاً حمل على أمواجه التجار والمغامرين والمستكشفين، ونقل بين ضفافه الأفكار والسلع والمعتقدات، وصنع شبكة من العلاقات الإنسانية امتدت من شواطئ الشام إلى أقصى غرب إفريقيا وشمال أوروبا.(Moscati, 2001, p. 34)

وفي قلب هذا الفضاء الاستراتيجي، برز الساحل الليبي بموقعه المتميز الممتد بين خليج سرت وإقليم التريبوليتانيا (المدن الثلاث) ليغدو ساحة تقارب وتكامل بين القوى البحرية الوافدة والمجتمعات المحلية الأصيلة. لم يكن هذا الساحل مجرد شريط ساحلي عابر، بل كان منطقة وصل حيوية بين عالم المتوسط الشمالي وعمق الصحراء الكبرى، حيث تلتقي طرق التجارة البحرية بالقوافل الصحراوية المحملة بكنوز إفريقيا الداخلية. وقد جعل هذا الموقع الفريد من ليبيا محوراً أساسياً للحركة التجارية بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، الأمر الذي جعلها وجهة طبيعية للقوى البحرية الطامحة إلى التوسع والسيطرة على طرق التجارة العالمية (حسين، 2012، ص 45).

تميزت الجغرافيا الليبية بتنوعها الفريد الذي جمع بين السهول الساحلية الخصبة والهضاب الداخلية والواحات الصحراوية، مما هيأ بيئة متنوعة لاستقرار مجتمعات بشرية متعددة النشاطات الاقتصادية. فالساحل الليبي يتمتع بمناخ متوسطي معتدل، وأراضٍ زراعية خصبة، وموانئ طبيعية محمية، في حين توفر الهضاب الداخلية مراعي واسعة للرعي، وتحتضن الواحات الصحراوية نظماً زراعية مروية فريدة. وقد أسهم هذا التنوع البيئي في تنوع الأنشطة الاقتصادية للسكان المحليين، فمارسوا الزراعة والرعي والتجارة واستخراج المعادن، مما جعلهم قادرين على التفاعل مع القوى الخارجية من موقع قوة اقتصادية لا ضعف.

1.2الخلفية التاريخية للتواجد الفينيقي

مع حلول أواخر الألف الثانية قبل الميلاد، انطلقت الملاحة الفينيقية من صور وصيدا وبيلوس باتجاه الغرب المتوسطي تحت ضغط الموارد المحدودة والضغوط السياسية الآشورية التي كانت تهدد كيان المدن الكنعانية في المشرق العربي .(Bunnens, 1979, p. 89) كان الفينيقيون، وهم شعب سامي كنعاني استقر على ساحل الشام، يتمتعون بخبرات بحرية فائقة ومهارات ملاحية جعلتهم سادة البحار في عالم المتوسط القديم. وقد ورثوا هذه المهارات عن أسلافهم الكنعانيين الذين كانوا من أوائل الشعوب التي أبحرت في المتوسط، وطوّروها عبر قرون من التراكم المعرفي والتجربة العملية.(Moscati, 2001, p. 12)

لم تكن رحلات الفينيقيين نحو الغرب مجرد مغامرات عابرة، بل كانت مشروعاً استراتيجياً منظماً يهدف إلى تأمين مصادر المعادن الثمينة التي كانت تشكل العمود الفقري لاقتصادهم التجاري. كانت المدن الفينيقية في المشرق تعتمد بشكل كبير على التجارة البحرية، ومع استنزاف مناجم المشرق وزيادة الطلب، أصبح التوسع نحو الغرب ضرورة اقتصادية لا مفر منها .(Aubert, 1995, p. 118) وفي طريقهم لتأمين مسالكهم الممتدة نحو الغرب، وجد الفينيقيون في السواحل الليبية محطات استراتيجية لتأسيس "الإمبوريا" أو المحطات التجارية، فنشأت مراكز مثل لبدة الكبرى، وأويا، وصبراتة (عيسى، 1996، ص 88).

اتسمت هذه المحطات في مراحلها الأولى بطابعها السلمي التجاري البحت، حيث كانت مراكز للتبادل لا مستوطنات عسكرية، مما يعكس طبيعة العلاقة الودية التي قامت بين الفينيقيين والسكان المحليين. وقد أكدت التنقيبات الأثرية في مواقع هذه المدن الثلاث خلو طبقاتها الأولى من التحصينات الدفاعية الضخمة، مما يشير إلى أن وجود الفينيقيين كان مرهوناً برضى القبائل المحلية وتعاونها، وليس بقوة السلاح .(Gsell, 1920, p. 178)

1.3السياق القبلي المحلي

تُؤكد القراءة التاريخية النقدية الحديثة أن استمرار هذه المحطات لم يكن ليتأتى بمعزل عن المحيط القبلي المحلي؛ حيث كانت تقطن هذه الأراضي قبائل ليبية قديمة ذات تنظيمات سياسية واجتماعية متماسكة، تمتلك هياكل حكم عرفية متطورة وخبرات اقتصادية متنوعة (البصير، 2005، ص 62). وقد شكلت هذه القبائل العمق الجغرافي والبشري للوجود الفينيقي، وبدون تعاونها واستقبالها لم تكن المحطات التجارية لتستمر أو تزدهر.

من أبرز هذه القبائل: المكاي الذين استقروا في المناطق الساحلية الغربية، والنسامون الذين استوطنوا إقليم سرت والصحراء الشرقية، والجرامنت الذين شكلوا كنفدرالية قوية في منطقة فزان. وقد امتلكت هذه القبائل نظماً سياسية معقدة قائمة على مجالس الشيوخ والأعيان، وعلاقات تحالف وولاء بين القبائل المختلفة، مما منحها قدرة على التفاوض وإبرام المعاهدات مع القوى الخارجية كالفينيقيين (البصير، 2005، ص 78).

1.4طبيعة العلاقات وتطورها

اعتمد الفينيقيون منهج الدبلوماسية التوافقية والتجارة المتبادلة دون اللجوء للغزو العسكري، مما أنتج نمط علاقات متفرد اتسم بالندّية والشراكة الاقتصادية والسياسية. لم تكن العلاقة قائمة على التبعية أو الإخضاع، بل على المصالح المشتركة والمنفعة المتبادلة التي ضمنت للطرفين الاستقرار والازدهار .(Gsell, 1920, p. 145) وقد أثبت هذا النهج نجاحه عبر قرون من التعاون المستمر.

تطورت هذه العلاقة عبر الزمن إلى مستويات أعمق من التكامل، حيث أدت المصاهرات بين التجار الفينيقيين وبنات زعماء القبائل الليبية إلى ظهور مجتمع هجين عُرف بـ"الليبيين-البونيقيين(Libyphoenicians) "، وهو نموذج فريد من الاندماج الثقافي والاجتماعي الذي جمع بين الثقافة واللسان البوني والأصول والأعراف الليبية المحلية .(Picard, 1968, p. 215) لم تقتصر العلاقة على الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي، بل امتدت إلى التحالفات العسكرية الوثيقة التي وحّدت الطرفين في مواجهة الأخطار الخارجية.

1.5الإطار النظري للبحث

يستند هذا البحث إلى إطار نظري متكامل يستفيد من عدة مقاربات نظرية في فهم العلاقات الفينيقية-الليبية:

أولاً: نظرية ما بعد الاستعمار:

تقدم هذه النظرية أدوات نقدية لتفكيك الخطابات الاستعمارية التي هيمنت على الكتابة التاريخية عن شمال إفريقيا. وقد طوّر هذه النظرية مفكرون كإدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق(Said, 1978) "، وفرانز فانون، وغاياثري سبيفاك. وتساعد هذه النظرية في كشف التحيزات الضمنية في المصادر الكلاسيكية والدراسات الاستشراقية، وتقديم قراءة بديلة تمنح الفاعلية للشعوب المحلية. وقد وظفت الباحثة هذه النظرية في نقد النماذج الاستعمارية التي صورت القبائل الليبية كمتلقين سلبيين للحضارة الفينيقية، وفي تحليل الخطاب الاستعماري في الدراسات الغربية عن شمال إفريقيا.

ثانياً: نظرية التثاقف والانتشار الثقافي:

تتناول هذه النظرية كيفية انتقال العناصر الثقافية بين المجتمعات المختلفة، والتحولات التي تطرأ عليها نتيجة التفاعل. وقد طوّرها ميلفيل هيرسكوفيتس في كتابه "التثاقف: دراسة الاتصال الثقافي .(Herskovits, 1938) "وتساعد هذه النظرية في فهم كيفية اندماج العناصر الفينيقية والليبية لتنتج ثقافة هجينة جديدة، وهو ما تجلى في ظهور مجتمع "الليبيين-البونيقيين" الذي جمع بين ثقافتي الطرفين.

ثالثاً: مقاربة الأنثروبولوجيا التاريخية:

تجمع هذه المقاربة بين المناهج التاريخية والأنثروبولوجية لفهم المجتمعات القديمة من خلال دراسة بنيتها الاجتماعية وأنظمة القرابة والممارسات الثقافية. وقد ساعدت الباحثة في فهم البنى القبلية الليبية وآليات صنع القرار فيها، كما استفاد منها بريت وفينترس في دراسة البربر(Brett & Fentress, 1996)).

رابعاً: نظرية الشبكات التجارية:

تدرس هذه النظرية كيفية تشكل الشبكات التجارية وتفاعلها مع البنى السياسية والاجتماعية. وتساعد في فهم شبكة المحطات الفينيقية وعلاقتها بمسالك القوافل الصحراوية ودور القبائل الوسطى.(Aubert, 1995 B 16)

ثانياً: مشكلة البحث

2.1تحديد المشكلة

تكمن المشكلة الرئيسة للبحث في سيادة الطرح الاستعماري في الكلاسيكيات التاريخية الغربية، والذي جرد القبائل الليبية القديمة من فاعليتها التاريخية وشخصيتها السياسية والاقتصادية المستقلة، عبر تصوير الوجود الفينيقي كإخضاع قسري أو تبعية هامشية. هذه النظرة الاستعمارية التي ترسخت في الكتابات التاريخية الأوروبية منذ القرن التاسع عشر لم تقدم صورة مشوهة للماضي فحسب، بل أسهمت في تغييب دور الشعوب الأصلية في صناعة التاريخ الحضاري للمنطقة المتوسطية. وقد استمرت هذه النظرة في التأثير على الدراسات التاريخية حتى العقود الأخيرة، مما أدى إلى ترسيخ مفاهيم مغلوطة عن طبيعة العلاقات بين الشمال والجنوب في العالم القديم (Picard, 1968, p. 12).

يتجلى هذا التغييب في تجاهل الإسهامات الحضارية للقبائل الليبية في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، وتقديم صورة نمطية عن المجتمعات الإفريقية القديمة باعتبارها مجرد متلقين سلبيين للحضارات الخارجية دون فاعلية أو إبداع ذاتي.

2.2أبعاد المشكلة

تتجلى أبعاد المشكلة في ثلاثة مستويات رئيسة مترابطة:

أولاً: تجاهل الفاعلية السياسية للقبائل:

تميل الدراسات الكلاسيكية إلى تصوير المدن البونية ككيانات معزولة عن محيطها الإفريقي، وتتغافل عن الدور المحوري الذي لعبته الهياكل العرفية الليبية في حماية وتوجيه القرار السياسي في المنطقة. فلم تكن المدن البونية لتستمر أو تزدهر لولا التحالفات والاتفاقات التي أبرمتها مع القبائل المجاورة (البصير، 2005، ص 145). كان مجالس شيوخ القبائل الليبية تمتلك سلطة حقيقية في التفاوض مع الفينيقيين، وإبرام المعاهدات، وتحديد شروط التعاون.

ثانياً: الغموض الاقتصادي:

تعاني الدراسات المتخصصة من عدم كفاية في تناول آليات التبادل التجاري المباشر وغير المباشر بين الفينيقيين والقبائل الليبية. فمع أن المصادر الكلاسيكية تقدم معلومات قيّمة عن طرق التجارة والسلع المتداولة، إلا أنها تظل سطحية في فهم الأعماق الاقتصادية لهذه العلاقة (عيسى، 1996، ص 130). يبقى الكثير من التفاصيل حول مسالك القوافل الصحراوية، وأساليب التجارة الصامتة، وأنظمة المقايضة غير موثقة بشكل كافٍ.

ثالثاً: التشويه الثقافي:

يعاني الدرس التاريخي التقليدي من تغاضٍ واضح عن طبيعة التحول والتكامل الحضاري الذي نتج عنه مجتمع "الليبيين-البونيقيين". وهذا المجتمع الهجين لم يكن مجرد حالة عابرة، بل كان النموذج الأكثر انتشاراً للتفاعل الثقافي في شمال إفريقيا القديمة (مناع، 2018، ص 48). إن تجاهل هذا المجتمع يعني تجاهل النتيجة الطبيعية لقرون من التفاعل بين الثقافتين.

ثالثاً: تساؤلات البحث

تُجيب الدراسة عن السؤال الرئيس التالي:

"ما طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين الوجود الفينيقي والقبائل الليبية القديمة في حوض المتوسط، وكيف أسهم التفاعل المتبادل بينهما في تشكيل المشهد الحضاري للمنطقة؟"

يتفرع عنه أربعة تساؤلات فرعية:

1. ما العوامل الجغرافية والاقتصادية التي دفعت الفينيقيين لتأسيس محطاتهم التجارية على الساحل الليبي؟
2. كيف أسهمت الأنظمة والتركيبات الاجتماعية للقبائل الليبية القديمة في استقبال وتأمين الوجود الفينيقي؟
3. ما أشكال المعاهدات والتحالفات السياسية والعسكرية التي انعقدت بين الطرفين لمواجهة الأخطار الخارجية؟
4. ما طبيعة آليات التبادل التجاري ومسالك القوافل الصحراوية والمبادلات الاقتصادية والحرفية بين المجتمعين؟

رابعاً: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق أربعة أهداف رئيسة:

1. **تفكيك المفاهيم الاستعمارية** الكلاسيكية وإبراز الفاعلية التاريخية للقبائل الليبية القديمة.
2. **تحليل الاستراتيجية البحرية الفينيقية** وتحديد الخصائص الوظيفية والجغرافية لمحطات لبدة وأويا وصبراتة.
3. **الكشف عن طبيعة التحالفات السياسية والعسكرية** والمعاهدات الدبلوماسية المشتركة.
4. **دراسة الشبكات الاقتصادية** ومسالك القوافل الصحراوية وتتبع مظاهر التمازج الحضاري واللغوي.

خامساً: أهمية البحث

الأهمية العلمية:

أ- تقديم قراءة نقدية متكاملة تعتمد التوثيق الأثري والمصادري المباشر لتصحيح المسار التاريخي حول إفريقيا القديمة.

ب- سد فجوة بحثية من خلال معالجة شاملة تبرز دور القبائل المحلية كفاعل أساسي.

ت- تجاوز النماذج الاستعمارية التي هيمنت على الدرس التاريخي.

ث- توثيق الجذور التاريخية للهوية الليبية-الأمازيغية.

الأهمية التطبيقية:

أ- توفير مرجع أكاديمي رصين للباحثين والطلاب في أقسام التاريخ والآثار.

ب- دعم البحث الأثري من خلال تسليط الضوء على المواقع الأثرية ودعوة إلى مزيد من التنقيب.

ت- تعزيز الوعي التاريخي لدى المجتمع المحلي بأهمية تراثه الحضاري.

سادساً: منهجية البحث

تعتمد الباحثة منهجاً حركياً متكاملاً يجمع بين:

1. **المنهج التاريخي الاسترادادي :**لتتبع حركة التوسع الفينيقي وتطور توزع القبائل عبر الزمن.
2. **المنهج التحليلي النقدي :**لإعادة قراءة ونقد النصوص الكلاسيكية وتفكيك الروايات الاستعمارية.
3. **المنهج المقارن :**لمطابقة النصوص التاريخية بالمعطيات والنقوش واللقى الأثرية.
4. **المنهج الأنثروبولوجي التاريخي :**لفهم الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتفاعل بين المجتمعين.
5. **المنهج النقدي ما بعد الاستعماري :**لتحليل الخطابات الاستعمارية في الدراسات التاريخية.

سابعاً: حدود البحث

أ- **الحدود الموضوعية :**العلاقات السياسية والاقتصادية والتأثير الحضاري المتبادل.

ب- **الحدود المكانية :**الساحل والعمق الصحراوي لليبيا القديمة (التريبوليتانيا، سيرت، وفزان).

ت- **الحدود الزمنية :**من مطلع الألف الأولى قبل الميلاد (القرن 10 ق.م) وحتى سقوط قرطاج عام 146 قبل الميلاد.

ثامناً: مفاهيم ومصطلحات البحث

1. **الفينيقيون :**الشعب السامي الكنعاني المستقر على ساحل الشام، واشتهر بالتجارة البحرية والملاحة.(Moscati, 2001, p. 12)
2. **القبائل الليبية القديمة :**السكان الأصليون لشمال إفريقيا، كالمكاي، النسامون، والجرامنت (البصير، 2005، ص 19).
3. **الإمبوريا :(Emporia)** المحطات والموانئ التجارية الساحلية التي أنشأها الفينيقيون لتسهيل التبادل التجاري (عيسى، 1996، ص 102).
4. **الليبيون-البونيقيون :**المجتمع الهجين الناتج عن المصاهرة والاندماج بين الفينيقيين والليبيين.(Picard, 1968, p. 215)
5. **التوفيت :**المعبد أو المقام المقدس لتقديم القرابين والنذور للآلهة (خليفة، 2015، ص 108).
6. **الكتابة الليبية القديمة :**نظام كتابي استُخدم في شمال إفريقيا القديمة، تأثر بالأبجدية الفينيقية البونية (Brett & Fentress, 1996, p. 72).

المبحث الأول: دو افع الوجود الفينيقي في ليبيا ونشأة المحطات الساحلية (الإمبوريا)

1.1الاستر اتيجية البحرية والتجارية الفينيقية

فرضت الضغوط السياسية الآشورية والموارد المحدودة في المشرق على المدن الفينيقية التوجه غرباً عبر المتوسط بدءاً من أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. كان الآشوريون يهددون باستمرار استقلال المدن الكنعانية الساحلية، مما دفع الفينيقيين إلى البحث عن مواطن بديلة لضمان استمرار نشاطهم التجاري .(Bunnens, 1979, p. 112) في الوقت نفسه، كانت الموارد الطبيعية في المشرق محدودة، خاصة المعادن الثمينة والخشب، مما جعل التوسع نحو الغرب ضرورة اقتصادية لا مفر منها (سليمان، 2019، ص 78).

اعتمد الفينيقيون استراتيجية "المراسي المفتوحة" وهي مواقع ساحلية ذات خلجان طبيعية تحمي السفن، وكانوا يفضلونها على الموانئ المحصنة في مراحل التوسع الأولى. وكانت أهداف التوسع الفينيقي تتمثل في: البحث عن المعادن والموارد (كالفضة والنحاس والحديد)، وتأمين طرق الملاحة البحرية، وتنشيط التبادل التجاري مع السكان الأصليين .(Aubert, 1995, p. 118) وقد أثبتت هذه الاستراتيجية نجاحاً كبيراً وضمنت استمرارية النشاط الفينيقي لقرون طويلة.(Gsell, 1920, p. 145)

1.2الخصائص العمرانية لمحطات لبدة، أويا، صبراتة

شكل الساحل الليبي نقطة ارتكاز حيوية في الشبكة التجارية الفينيقية، حيث أسس الفينيقيون ثلاث محطات رئيسة:

لبدة الكبرى :(Leptis Magna) أقامها الفينيقيون عند مصب وادي لبدة، في موقع جمع بين مرفأ طبيعي آمناً، وتربة خصبة، ومياه عذبة، وموقع استراتيجي في منتصف الساحل الليبي (خليفة، 2015، ص 105). اتسم تخطيط لبدة في مراحله الأولى بالبساطة والوظيفية، حيث اقتصرت على مخازن وأسواق ومرافق دينية بسيطة ومساكن متواضعة، دون أسوار دفاعية ضخمة.

أويا - Oyat) طرابلس الحالية :(تقع في موقع متوسط على الساحل الليبي، وتتميز بخليج طبيعي تحميه الصخور البحرية، وموقع مركزي جعلها نقطة وصل بين الشرق والغرب (حسين، 2012، ص 188). لعبت أويا دوراً مزدوجاً في الشبكة التجارية: مركز توزيع ونقطة إعادة تموين.

صبراتة :(Sabratha) تقع في أقصى غرب الساحل الليبي، وكانت تمثل المنفذ الرئيس للتجارة مع العمق الصحراوي والداخل الإفريقي (عيسى، 1996، ص 88). كانت تتولى استقبال القوافل القادمة من فزان محملة بالذهب والعاج، وتصدير البضائع المتوسطية إلى الداخل الإفريقي.

اتسم تخطيط هذه المحطات بالبساطة والوظيفية دون أسوار دفاعية ضخمة، مما يؤكد قيامها بالتوافق والرضا مع القبائل المجاورة (Gsell, 1920, p. 178).كانت المحطات في هذه المرحلة تعتمد على القبائل المحلية في توفير الأمن والحماية، والموارد الغذائية، والعمالة، مما خلق مصلحة مشتركة في استمرار التعاون.

المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي والأنظمة الاجتماعية للقبائل الليبية القديمة

2.1التوزيع الجغرافي للقبائل الرئيسية

استوطنت المنطقة التي تشكل ليبيا الحالية مجموعات قبلية متعددة ذات تنظيمات اجتماعية وسياسية متماسكة، توزعت جغرافياً وفق نمط متوازن بين الساحل والواحات الصحراوية (البصير، 2005، ص 41).

المكاي :استقروا في المناطق الساحلية الغربية من ليبيا، وشكلوا الجوار المباشر للمدن البونية. مارسوا الزراعة والرعي والتجارة، وكانوا الشريك التجاري والسياسي الأقرب للفينيقيين. اتسمت علاقتهم بالفينيقيين بالعمق والشمولية، وتجلى ذلك في الجوار المباشر، والمصاهرة، والتحالفات السياسية، والاندماج الثقافي.(Herodotus, 1920, IV, 175)

النسامون :استوطنوا إقليم سرت والصحراء الشرقية، واشتهروا بقيادة القوافل التجارية ورعي الخيول. كانوا حلقة الوصل بين الفينيقيين والقبائل الداخلية، حيث ينقلون البضائع المتوسطية إلى الداخل الصحراوي ويجلبون المنتجات الصحراوية إلى الساحل (الزوي، 2010، ص 94).

الجرامنت :شكلوا كنفدرالية قوية في منطقة فزان، وعاصمتهم مدينة جرمة. طوّروا نظاماً مائياً فريداً (الفقارات) مكنهم من استيطان الصحراء واحتكار تجارة الطرق الصحراوية. كانوا الموردين الرئيسيين للفينيقيين للمواد الإفريقية الثمينة: الذهب، العاج، الكاربيونكل، والملح.(Brett & Fentress, 1996, p. 52)).

جدول: التوزيع الجغرافي والنشاط الاقتصادي للقبائل الليبية الرئيسة

القبيلة	النطاق الجغرافي	النشاط الاقتصادي	طبيعة العلاقة مع الفينيقيين
المكاي	الساحل الغربي	زراعة ورعي وتجارة	جوار مباشر ومصاهرة وتحالف عسكري
النسامون	إقليم سرت والداخل الشرقي	قيادة قوافل ورعي خيول	وساطة تجارية ونقل بضائع
الجرامنت	فزان والجنوب الصحراوي	زراعة مروية واحتكار قوافل	المورد الرئيس للذهب والعاج والكاربيونكل

2.2الهياكل السياسية والأعراف الاجتماعية

امتلكت القبائل الليبية القديمة نظماً سياسية واجتماعية متطورة. اعتمد المجتمع الليبي القديم نظام "مجلس الشيوخ" أو "مجلس الأعيان" برئاسة شيخ القبيلة. كانت القرارات الكبرى تتخذ بالتوافق والتشاور بين الأسر والعشائر المختلفة (البصير، 2005، ص 78). وقد أسهم هذا النظام في تماسك المجتمع القبلي وفي قدرته على اتخاذ القرارات المصيرية بحكمة وتريث.

مارست القبائل الليبية سيادتها على أراضيها، وتعاملت مع الفينيقيين كشركاء تجاريين. كانت تمنحهم حق استخدام الأراضي لإقامة محطاتهم التجارية مقابل دفع رسوم سنوية أو إتاوات، وتقديم هدايا دورية لشيوخ القبائل، وضمان التعاون التجاري والتبادل المنصف، وتوفير الحماية للمحطات التجارية.(Gsell, 1920, p. 210)

قامت العلاقات على مبدأ الندية والمساواة، حيث تعامل الطرفان كشركاء متكافئين. تجلى ذلك في احترام الفينيقيين لسيادة القبائل، واستقلالية القبائل التي احتفظت بسيادتها الكاملة، والتفاوض المتكافئ، والزواج المختلط الذي عكس طابع المساواة والتكامل في العلاقة (Picard, 1968, p. 2

المبحث الثالث: العلاقات السياسية والدبلوماسية والتحالفات العسكرية

3.1المعاهدات السلمية والمصاهرة

قامت العلاقات بين الفينيقيين والقبائل الليبية على أسس من التوافق الدبلوماسي وعقود المصاهرة. تذكر المصادر التاريخية القديمة أن العلاقات قامت في معظمها على المودة والدبلوماسية السلمية .(Herodotus, 1920, IV, 175) اعتمد الفينيقيون عدة أساليب لترسيخ هذه العلاقات: تقديم الهدايا القيمة لشيوخ القبائل، ودفع الإتاوات والرسوم السنوية، واحترام الأعراف المحلية والمواقع الدينية.

كان الزواج المختلط بين التجار الفينيقيين وبنات زعماء القبائل الليبية من أهم عوامل تعميق العلاقات. أصبحت المصاهرة أداة دبلوماسية فعالة لتثبيت التحالفات، وضمان التعاون، وتسهيل التفاوض، ونقل المعرفة بين الثقافتين.

ظاهرة الليبيين-البونيقيين:

يمثل مجتمع "الليبيين-البونيقيين" النموذج الأبرز للاندماج الاجتماعي والثقافي بين الفينيقيين والليبيين .(Picard, 1968, p. 215) تميز هذا المجتمع بثنائية اللغة، والانتماء المزدوج للمدن البونية والقبائل الليبية، والعادات المختلطة، والمشاركة السياسية. كانوا الطبقة الوسطى في المدن البونية، ووسطاء بين النخبة الحاكمة والجماهير الليبية.

3.2التحالف العسكري والمواجهة المشتركة

مواجهة التوسع الإغريقي في القوربنائية:

شكل التوسع الإغريقي في شرق ليبيا تهديداً مباشراً لمصالح الفينيقيين والقبائل الليبية. تحالفت قبائل المكاي مع بونيقي لبدة لطرد المغامر الإسبرطي دوريوس عام 514 ق.م .(Herodotus, 1920, IV, 175) كما تم تثبيت الحدود بين قرطاج وقوريني في خليج سرت بوساطة قبائل النسامون (الزوي، 2010، ص 112).

المشاركة في الحروب البونية ضد روما:شاركت القبائل الليبية في الحروب البونية إلى جانب قرطاج، وشكل الفرسان النوميديون (الليبيون) عماد سلاح الفرسان في جيش حنبعل القرطاجي .(Polybius, 1922, III, 33) كان للفرسان الليبيين دور حاسم في معارك كاناي (216 ق.م) وتراسيمين (217 ق.م) وعبور الألب (218 ق.م).

طبيعة التحالفات العسكرية:

اتسمت التحالفات بالشراكة غير المتكافئة ولكن العادلة، حيث لم تكن القبائل تابعة للفينيقيين بل حلفاء متكافئين. كانت الجيوش البونية تضم وحدات ليبية متخصصة تتبع قادتها القبليين. استمرت هذه التحالفات عبر قرون متعددة وتجاوزت التحولات السياسية الداخلية لكلا الطرفين.

المبحث الرابع: العلاقات الاقتصادية وطرق التبادل التجاري

4.1آليات التبادل ومسالك القوافل

التجارة الصامتة

وصف هيرودوت طريقة "التجارة الصامتة" بين الفينيقيين والليبيين، حيث كان الفينيقيون يضعون بضائعهم على الشاطئ، ويأتي الليبيون ويضعون الذهب مقابلها دون لقاء مباشر (Herodotus, 1920, IV, 196) تعكس هذه الآلية مستوى عالياً من الثقة المتبادلة والاحترام بين الطرفين. تطورت التجارة الصامتة تدريجياً لتصبح تجارة مباشرة مع تزايد الثقة وتعمق العلاقات.

مسالك القوافل الصحراوية:

شكلت مسالك القوافل الصحراوية العمود الفقري للتجارة بين ساحل المتوسط وعمق الصحراء الكبرى وإفريقيا الاستوائية (Brett & Fentress, 1996, p. 68).كان المسار الرئيسي يبدأ من إفريقيا الاستوائية إلى جرمة (عاصمة الجرامنت)، ثم عبر الواحات (زويلة، سوكنة، ودان) إلى المحطات الساحلية (صبراتة، لبدة، أويا)، ثم بالشحن البحري إلى غرب المتوسط.لعبت القبائل الليبية دوراً محورياً في تأمين هذه

القوافل: الجرامنت احتكروا المسالك الجنوبية، والنسامون تولوا الوساطة بين الجرامنت والفينيقيين، والمكاي وفروا الأمن للقوافل عند وصولها إلى الساحل.

4.2المبادلات الاقتصادية

السلع والمنتجات المتداولة:

شمل التبادل التجاري مجموعة واسعة من السلع. كانت الصادرات الليبية تشمل: أحجار الكاربيونكل، الذهب الخام، العاج، جلود الحيوانات النادرة، زيت الزيتون، نبات السيلفيوم، والتمور. بينما كانت الواردات الفينيقية تشمل: الأواني الفخارية، الأقمشة الأرجوانية، الحلي والمجوهرات، الزجاج المصنوع، النبيذ، الأسلحة البرونزية، والحبوب (عيسى، 1996، ص 142).

جدول: الصادرات الليبية والواردات الفينيقية الرئيسة

الصادرات الليبية	الواردات الفينيقية
أحجار الكاربيونكل	الأواني الفخارية والمطلية
الذهب الخام	الأقمشة والأرجوان الصوري
العاج	الحلي والمجوهرات
جلود الحيو انات النادرة	الزجاج المصنوع
زيت الزيتون	النبيذ
نبات السيلفيوم	الأسلحة البرونزية
التمورالمنتجات الزراعية	الحبوب والمواد الغذائية المصنعة

التطوير الزراعي والتكنولوجي:

أحدث الفينيقيون تأثيراً عميقاً في تطوير التقنيات الزراعية لدى القبائل الليبية. أدخلوا معاصر الزيتون المتقدمة، وتقنيات زراعة الكروم، وأنظمة الري المتطورة، وتقنيات تخزين المياه، وتناوب المحاصيل (سليمان، 2019، ص 110). أدت هذه التقنيات إلى تحول العديد من المجموعات الرعوية إلى الاستقرار الزراعي، وزيادة الإنتاج والفائض الاقتصادي، وظهور مهن متخصصة مرتبطة بالزراعة.

المبحث الخامس: مظاهر التأثيروالتأثر الحضاري والثقافي المتبادل

5.1التأثيرات اللغوية والكتابية

انتشار اللغة البونية:

أصبحت اللغة البونية لغة المعاملات والسَكّ الرسمي في التريبوليتانيا، حيث استخدمت في التجارة والأسواق، والنقود والمسكوكات، والنقوش الرسمية، والمراسيم الإدارية. امتصت اللغة الليبية القديمة العديد من المفردات البونية في المجالات التجارية والبحرية والإدارية والدينية (مناع، 2018، ص 52).

الكتابة الليبية القديمة:

تطور الخط الليبي القديم بتأثير مباشر من الأبجدية الفينيقية البونية، حيث استعار الليبيون المبدأ الأبجدي وطوّروه ليناسب لغاتهم (Brett & Fentress, 1996, p. 72). عُثر على نقوش ثنائية اللغة (البونية-الليبية) في صبراتة وفزان ولبدة، مما يدل على انتشار ثنائية اللغة بين النخب والمجتمع، ويعكس التعايش والاندماج بين الثقافتين (خليفة، 2015، ص 112).

5.2التمازج الديني والمعماري

التمازج الديني:

شهدت المنطقة اندماجاً دينياً فريداً، حيث اندمج الإله الفينيقي "بعل حمون" مع الإله الليبي "آمون" ليصبح "بعل آمون" إلهاً جديداً يعبده الطرفان. كما تبنى الليبيون عبادة الإلهة البونية "تانيت" وأقاموا لها المعابد والنذور. انتشرت معابد التوفيت في المدن البونية، بما فيها صبراتة وقرطاج، وهي مواقع مقدسة لتقديم القرابين والنذور.(Picard, 1968, p. 220)

التمازج المعماري:

شهدت العمارة اندماجاً بين الأساليب الفينيقية والليبية (عيسى، 1996، ص 180). انتشرت المقابر البرجية الليبية التي حملت زخارف بونية. ظهر التأثير البوني في العمارة الليبية من خلال استخدام الأعمدة والتخطيط المنتظم والزخارف، بينما تأثرت العمارة البونية بالعناصر الليبية في التكيف مع المناخ واستخدام المواد المحلية.

الفنون والحلي:

جمع الفخار المصنع في ليبيا بين التقنيات الفينيقية والزخارف الليبية التقليدية. كما جمعت المجوهرات بين أساليب الصياغة الفينيقية والأشكال والرموز الليبية التقليدية واستخدام الأحجار الكريمة المحلية.

خاتمة الدراسة والنتائج والتوصيات

النتائج

أولاً: دحض الطرح الاستعماري وإعادة الاعتبار للفاعلية المحلية:

أثبتت الدراسة بالأدلة التاريخية والأثرية أن الوجود الفينيقي على الساحل الليبي قام على التوافق السلمي والدبلوماسي والمصلحة الاقتصادية المتبادلة، دون سيطرة عسكرية قسرية. فالمحطات التجارية أُسست برضا وموافقة القبائل المحلية، وليس بفرض عسكري، وغالبية المصادر التاريخية الكلاسيكية تشير بوضوح إلى طبيعة العلاقة القائمة على المودة والمنفعة المتبادلة. وتؤكد هذه النتيجة أن النموذج الاستعماري الذي حاولت بعض المدارس التاريخية الغربية فرضه لا يصمد أمام التدقيق الأكاديمي.

ثانياً: الفاعلية السياسية والاقتصادية للقبائل الليبية:

أثبتت القبائل الليبية (المكاي، النسامون، الجرامنت) حضوراً محورياً في تشكيل المشهد السياسي والاقتصادي للمنطقة، تجلى في استقلاليتها السياسية الكاملة، وفي سيطرتها على الاقتصاد الصحراوي واحتكارها طرق القوافل التجارية، وفي قيامها بدور الوساطة التجارية بين

الفينيقيين والداخل الإفريقي، وفي ممارستها حقها في التفاوض وإبرام المعاهدات على قدم المساواة. هذه النتيجة تصحح الصورة النمطية التي تقدم القبائل الليبية كمجموعات بدائية هامشية.

ثالثاً: التحالف والتكامل العسكري الاستراتيجي: شكل الفرسان والجيوش الليبية شريكاً استراتيجياً للبونيقيين في صد التمدد الإغريقي في الحروب البونية ضد روما. شاركت القبائل الليبية في مواجهة التوسع الإغريقي في القورينائية منذ القرن السادس قبل الميلاد، وشكل الفرسان الليبيون عماد سلاح الفرسان في جيش حنبعل القرطاجي خلال الحرب البونية الثانية. وقد استمرت هذه التحالفات عبر قرون متعددة، مما يدل على عمق الشراكة الاستراتيجية بين الطرفين.

رابعاً: ولادة الهوية "الليبية-البونية" كنموذج للتعددية الثقافية:

أسفر الاندماج والمصاهرة بين الفينيقيين والليبيين عن نسيج حضاري هجين فريد، تجلى في ثنائية اللغة والكتابة من خلال انتشار النقوش ثنائية اللغة (البونية-الليبية)، وفي تمازج المعتقدات الدينية التي اندمجت فيها آلهة الفينيقيين مع المعتقدات الليبية، وفي التكامل المعماري الذي أنتج أنماطاً عمرانية جمعت بين التقنيات الفينيقية والذوق الفني الليبي، وفي ظهور مجتمع "الليبيين-البونيقيين" الذي استمر حتى العصر الروماني.

خامساً: الاستمرارية والتراث الحضاري الدائم:

استمرت التأثيرات الفينيقية-البونية في ليبيا لفترة طويلة بعد سقوط قرطاج (146 ق.م)، حيث بقيت اللغة البونية مستخدمة في المنطقة حتى العصر الروماني المتأخر، واستمر العمل بالنقود البونية والنظم التجارية التي أسسها الفينيقيون، وبقي مجتمع الليبيين-البونيقيين حاضراً في المشهد الاجتماعي لقرون. هذه النتيجة تؤكد أن العلاقات الفينيقية-الليبية لم تكن مجرد مرحلة عابرة، بل أسست لتراث حضاري دائم.

التوصيات

توصيات أكاديمية وبحثية:

1. إجراء تنقيبات أثرية مكثفة في المواقع الداخلية (كجرمة وواحات فزان) لدراسة العلاقة بين الساحل والداخل.
2. إجراء دراسات مقارنة بين العلاقات الفينيقية-الليبية وعلاقات الفينيقيين بالشعوب الأخرى.
3. إجراء دراسات أنثروبولوجية معمقة للمجتمع "الليبي-البونيقي."
4. تحليل متعمق للنقوش ثنائية اللغة من منظور لغوي.
5. تتبع استمرارية التأثيرات الفينيقية-البونية في العصور اللاحقة.

توصيات تعليمية وثقافية:

1. إدراج الموضوع في مناهج التاريخ في الجامعات والمدارس.
2. تطوير المتاحف والمواقع الأثرية في لبدة وصبراتة وأويا وجرمة.

3. تنظيم ندوات ومؤتمرات علمية لتوعية المجتمع المحلي بأهمية تراثه الحضاري.
4. ترجمة الدراسات الأجنبية المهمة إلى اللغة العربية ونشر الدراسات العربية دولياً.

توصيات للسياسات الثقافية:

1. وضع خطط لحماية المواقع الأثرية الفينيقية-البونية من التعديات والنهب.
2. تطوير برامج سياحة ثقافية تسلط الضوء على التراث الفينيقي-البوني.
3. تعزيز التعاون مع المؤسسات الأكاديمية الدولية المتخصصة.
4. تخصيص منح بحثية للدراسات المتعلقة بالتاريخ القديم ليبيا.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العربية

1. البصير، رجب عبد الجليل .(2005) .**القبائل الليبية القديمة: دراسة في التاريخ السياسي والاجتماعي** .بنغازي: دار الكتب الوطنية.
2. حسين، فرج الله أحمد .(2012) .**التاريخ السياسي والحضاري لشمال إفريقيا القديم** .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
3. خليفة، إبراهيم. (2015). "الآثار البونية في صبراتة ولبدة: دراسة معمارية ومقارنة ."**مجلة الآثار الليبية**، العدد 12، ص ص 102-124.
4. الزوي، محمد مبارك .(2010) .**ليبيا في المصادر الإغريقية والرومانية القديمة** .طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
5. سليمان، عبد اللطيف .(2019) .**الملاحة والتجارة في البحر المتوسط القديم** .القاهرة: دار الفكر العربي.
6. الشريف، محمد الهادي .(2008) .**تاريخ المغرب العربي القديم** .بيروت: دار الغرب الإسلامي.
7. عيسى، محمد علي .(1996) .**المحطات التجارية الفينيقية على الساحل الليبي** .طرابلس: منشورات جامعة الفاتح.
8. مناع، عائشة. (2018). "التفاعل الثقافي والاقتصادي بين الفينيقيين والسكان الأصليين في المغرب القديم ."**مجلة الدراسات التاريخية والتاريخ المغاربي**، المجلد 6، العدد 2، ص ص 45-68.
9. الطرابلسي، مصطفى .(2001) .**تاريخ قرطاج السياسي والعسكري** .تونس: دار الشؤون الثقافية.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

10. Aubert, Semmler M. (1995). "The Phoenicians in the West: Commercial Networks and Settlement Patterns". **Journal of Mediterranean Archaeology**, 8(2), pp. 115-138.
11. Brett, Michael & Fentress, Elizabeth. (1996). **The Berbers (The Peoples of Africa)**. Oxford: Blackwell Publishers.

12. Bunnens, Guy. (1979). **L'expansion phénicienne en Méditerranée**. Bruxelles: Institut Historique Belge de Rome.
13. Gsell, Stéphane. (1920). **Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord (Tome IV: Civilisation Carthaginoise)**. Paris: Librairie Hachette.
14. Herodotus. (1920). **The Histories** (A. D. Godley, Trans.). Cambridge: Harvard University Press.
15. Herskovits, Melville J. (1938). **Acculturation: The Study of Culture Contact**. New York: J.J. Augustin.
16. Lancel, Serge. (1995). **Carthage: A History** (A. Nevill, Trans.). Oxford: Blackwell Publishers.
17. Moscati, Sabatino. (2001). **The Phoenicians**. New York: Rizzoli International Publications.
18. Picard, Gilbert Charles & Picard, Colette. (1968). **The Life and Death of Carthage**. London: Sidgwick & Jackson.
19. Polybius. (1922). **The Histories** (W. R. Paton, Trans.). London: Loeb Classical Library.
20. Said, Edward W. (1978). **Orientalism**. New York: Pantheon Books.
21. Wright, John. (2012). **A History of Libya**. London: Hurst & Company.